بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

●● إلى القارئ الكريم :

● الذى التقى معنا فى الجزئين السابقين (المؤامرة الكبرى، وحيد القرن) .

● إلى الباحثين والمهتمين بحقيقة صراع الحضارات المسمى حوار الديانات .

● إلى المهتمين بدراسة مصادر رياح التغيير، واتجاهاتها ، وآثارها .

● إلى كل قارئ يعيش معنا فى عالم الفكر (مملكة الكتاب) .

● إلى المتألمين والمتأملين فى الوضع العربى، والإسلامى الراهن.

● إلى الحالمين. الطامعين فى غد أفضل.

● إليكم جميعًا أهدى... هذا الكتاب .

عبدالسلام اللمعى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن دراسة تاريخ الفكر البشرى منذ نشأته هى مسألة عقلية ومنطقية بحتة، وقد تناولها الكثيرون منذ العصور القديمة والوسطى، ومازلنا نشتغل بدراستها حتى الآن فى العصر الحديث والزمن المعاصر.

وقد اختلف الباحثون والمؤرخون فى آرائهم ونزعاتهم؛ وما زال الخلاف مستمراً بنفس الحدة، والصراع محتدماً بنفس الشدة فى الوقت المعاصر كما كان فى القرون السابقة على الميلاد، وذلك لأن حركة الفكر البشرى تمثل نتاجا تصادميا طبيعيا لحركة الحياة، وهى بهذا تمثل صراعاً متأججاً ومتطوراً بين الخير والشر، الحق والباطل، العلم والجهل، القبح والجَمَال.

وهذه الأضداد لا تلتقى فى فكر واحد، إنما هى كائنة عند فريقين – فريق يؤمن بالحق وينكر الباطل، وآخر يؤمن بالباطل على أنه الحق وما عداه باطل وهو الحق عند الآخَرين.

وكلها مسائل نسبية عند جموع البشر – سواء فى المجتمعات البدوية البدائية البسيطة أو فى الحياة المدنية الحديثة عند أهل الحضر.

من ذلك ما قال به اليهود من أن نبَّى الله يعقوب عليه السلام قد تمكَّن من أسر الله ولم يطلق سراحه إلا عند الفجر، بعد أن حدد يعقوبُ شروطَ صفقة، قبلها الرب حتى يفك يعقوبُ أسرَه؛ بينما يرفض أهل النصرانية والمسلمون هذا الكلام ويعتبرونه تطاولاً على الذات الإلهيّة.

ثم حدث اتفاق واختلاف، وجاء إقرار وإنكار من أهل النصرانية واليهودية على السواء كما حكى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [البقرة : ١١٣] .

﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [البقرة : ١١٣] .

وإن كانوا قد صدقوا فى الثانية عن غير قصد، إلا أنهم قد خابوا يقينا لما خالفوا أصل العقيدة فيما قالت به الفئتان فى الأولى.

ويأتى المسلمون على إثر ذلك ليؤكدوا على كذب، وافتراء، وبهتان، وكُفر الفئتين الضالّتين. اللتين جعلتا لله ولدا، ويقطعون بصدق قول اليهود والنصارى من أن الفئتين ليست إحداهما على شيء، كما يؤكدون على أن : (عُزيرٌ، وعيسى) عليهما السلام هما عَبْدان لله تعالى، وخلق من خلقه .

كما قال تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦].

وتلك هى طبيعة الصراع الأزلى بين المادة التى تُجَسّد كل شيء، فتجعل الجسدَ المادى هو مادة الفكر وصورته، وبين الروح التى تسبق المادة وتعتليها، وتجعل من ذروة عقيدتها الإيمان المطلق بأنه هو حقا كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [النور : ٣٥]

والحاصل أن كثيرين قد آمنوا بالله تعالى (ربا – خالقا – وهّابا – عاطيا) إلا أنهم والآخرين – منهم جميعا – وقع بينهم اختلاف فى ذاتيته تعالى : لما قال تعالى حكاية عنهم :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ [الأنعام : ١٠٠] .

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً ﴾ [إبراهيم : ٣٠] .

﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾ [الزخرف : ١٩] .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً ﴾ [الأنبياء : من ٢٦] .

وهذا الفريق يلقى معارضة كبيرة من فريق آخر يحمل طابعا حضاريًا خاصًا وخصائص ثقافية متميزة تقضى جميعها ببطلان قول الفريق الأول ويُدحضه ويَجزم البتة على صَلابة رأيه وصدق موقفه إعمالا لقوله تعالى :

﴿ مَا اتَخَّذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً ﴾ [الجن : ٣] .

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ﴾ [مريم: ٣٥] .

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

ولكننا نجد اللقاء الفكرى القهرى، والإلتقاء الفكرى الإختيارى من الطرفين المتحاجين أصحاب التيارات الفكرية المتباينة. متفقين عند نقطة بعينها – مجتمعين عليها فيما قال تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا

تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون : ٨٤-٨٩] .

ومن ثم تبرز أهمية تباين الآراء ، والأفكار، والعقائدية التى تتباين بين الإنكار المطلق عند فريق إلى يقين مطلق عند آخر، ليتأكد من خلال هذا البروز حقيقة الإختلافات والتصادمات التى تحدث عبر الأزمان، وليُتبيّن بمقدار أهمية التفاوت فى الأفكار والمعتقدات، التى تمثل الوجود المادى، والجوهر الحقيقى للتخلف والتقدم فى حياة البدو والحضر، والجهل والمعرفة.

وهى تكشف كذلك عن تضاد دائم، وصِدَام متجدد بين الآخذين بأسباب المدنية والرقى والتحضر، وبين الرابضين فى مستنقعات التخلف والعجز والفقر ... وبذلك يمكن القول بأنه صِدَامٌ – أو هو – صراعٌ متجدد ومتحورٌ ومتنوع بين كل هؤلاء.

ويلعب العقل دوراً كبيراً فى نشأة الصراع بين الحضارات، خاصة مع أصحاب المدنية والرفه (المترفون، الماديون، الداعون لإطلاق الشهوات على عنانها بما فيهَا اشتهاء رؤية الله جهرة وتعليق حصول إيمانهم على التثبت من رؤية الله تعالى فى حكاية القرآن الكريم عنهم.

وقالوا ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة : ٥٥] أولئك هم الماديون أو هم (الطبيعيون)[١] الذين ينسب إليهم فضل صناعة الإبرة والصاروخ، وقد تطورت على أيديهم مصادر الطاقة من إيقاد الفحم إلى توليد الكهرباء، من الطاقة الشمسية، ومن المياه، ومن الرياح، وهو ما يعنى أن التقدم المادى والإنجاز العلمى قام من أساسه على صياغة العقل البشرى، وتطور أفكاره، وإبداعاته.

وفريق آخر يؤمن بالجمع بين النظرية والتطبيق، والعلم والإيمان، ويبحث فى العجز واليقين، همُّه العمل للدنيا كأنّه يعيش فيَها أبداً، وللآخرة كأنه يموت غداً ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٧٤].

هذه التيارات الفكرية المتباينة، والمعتقدات المغايرة. هى التي خلقت الصراع البشرى منذ دهر البشرية الأول، والذى تطور إلى صراعات وحروب محلية وإقليمية ثم أصابتها الحداثة والصيرورة لتصير حروبا عالمية، لا لسبب إلا لاختلاف الأفكار وتباين الثقافات – بالأدق – صراع الأديان.

---

(١) سيرد الكلام عنهم تفصيلا فى موضوع العلمانية والزمن الردئ.

رغم ما يتردد من هنا أو من هناك وما يقال عن حوار الأديان، وعلى الرغم أيضًا مما يعقد لأجله من ندوات ومؤتمرات، حتى وإن صدر إعلان عن أسباب أخرى غير حقيقية لتلك الحروب، أو هذه المصادمات، فكلها تعبيرات فضفاضة لا تُطمئن خاطرًا ولا تُريح مشغولا: وإن اجتهد لأجل ذلك البعض بحثًا عن مبررات لتمرير سوء نتائجها.

إلا أنها لا تمثل في الواقع إلا صراعًا بين الحضارات لا يعرف لغة في الحوار غير حوار الدبابات، التي تُخضع فريقا لإرادة الآخر؛ حتى وإن كان إخضاعا مرحليا أو مؤقتا.

فإنهُ دائمًا ما ينتهي بثورة المقهورين المدافعين عن وجودهم، وثقافتهم وعقيدتهم – أي – من أجل حضارتهم، رفضا للخضوع لثقافة غريبة حتى وإن كان تحت شعارات دينية، ودوافع أخلاقية كتلك التي قادت أُمما نحو إقامة إمبراطوريات عظمى سابقا، ثم لم تلبث أن دبت فيها عوامل الضعف وظهرت عليها علامات الشيخوخة، وظهر الفساد جليا في شتى مناحي حياتها فرحلت، كما أن تلك الشعارات، وهذه الدوافع حَمَلَت أممًا على القفز فَوْق رقاب الآخرين فصعدت غير مُكترثة بمستقبل الشعوب، كما أنها أضاعت أمما، وأبادت أُخريات.

وبطن التاريخ حُبلى بالدلائل، التي سوف نتعرض لها، حتى الوصول إلى الملحمة الكبرى، أو هي صراع الديانات الأخير والذي يبدأ بحرب كبيرة ومدمرة بين الأمريكيين والإسرائيليين على أرض العالم العربي .. والتي سيكون فيها المسلمون طرفا أصليًا يفعل فعل الحسم تمهيدًا لنزول نبي الله عيسى عليه السلام. فيقتل اليهود، ويذبح الخنزير، ويكسر الصليب، ويحكم بدين الله (الإسلام) وبسُنّة النبي العدنان ﷺ، والذي بنزوله تعرف الساعة وتشرف الدنيا على الانتهاء لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف : ٦١] .

عبد السلام اللمعي

* * *